24 سيمون دي بوفوار

«إذا كانت الأنوثة وحدها لا تكفى لتعريف المرأة، ورفضنا أنْ نُفسّرها بمفهوم «المرأة الخالدة» ؛ وبالتالى إذا كنّا نُسلم ولو بصورة مؤقتة، أنَّ هناك نساء على الأرض ؛ فعلينا حينئذ أنْ نتساءل : ما هى المرأة ؟!»

الأديبة والفيلسوفة الفرنسية، التى قدَّمت فى شخصها النموذج الأعلى للمرأة كاملة الأهلية، فألهمت بذلك الأجيال من النساء المتطلعات إلى التحرُّر والمساواة .

والحاصلة على جائزة «جونكور» أرفع الجوائز الأدبية فى فرنسا عن رائعتها «المثقفون» .

والتي ارتبطت طوال عُمرها بعلاقة مثيرة للجدل مع الفيلسوف الوجودى الفرنسى: جان بول سارتر، تبادل فيها الاثنان التأثير الفكرى والدور الريادي بين أبناء جيلهما .

حملت الكاتبة الوجودية الفرنسية «سيمون دى بوفوار» Simone De Beauvoir رسالتها للعالم، ولعبت خلال مسيرتها الأدبية دوراً رائداً فى حركة تحرير المرأة، ليس على صعيد فرنسا فحسب بل تعداها إلى معظم حركات التحرير النسائية فى العالم ؛ ولذا فإنَّها تُعتبر أمًّا للتيار النسوى .

وقد اعتبرها البعض امرأة شجاعة جسدت فى حياتها وسيرتها كل المبادئ التى طرحتها فى كتاباتها بصفتها امرأة مستقلة وملتزمة سياسياً .

وقدَّمت فى شخصها النموذج الأعلى للمرأة كاملة الأهلية فألهمت بذلك الأجيال من النساء المتطلعات إلى التحرُّر والمساواة .

ومع حلول عام 2008 م أعلنت فرنسا استعدادها للاحتفال بمئوية سيدة الأدب الفرنسى وفيلسوفتها الثائرة تقديراً لأطروحاتها الفلسفية ومؤلفاتها الأدبية الرائعة .

الميلاد وذكريات الطفولة :

ولدت «سيمون دى بوڤوار» فى التاسع من يناير عام 1908م فى تمام الساعة الرابعة صباحاً، فى باريس العاصمة الفرنسية لعائلة برجوازية . كانت أمُّها كاثوليكية ورعة؛ لذا فقد عملت على تلقينها هى وأختها الصغرى «بوبيت» مبادئ الكاثوليكية ؛ وعلى ذلك فقد قدَّمتها إلى أوساط المناقشات الدينية والطقوس الصوفية وهى فى عُمْر مبكر، وإذا كانت «سيمون» قد انسلخت لاحقاً عن هذه الأجواء ودخلت عالم الفلسفة الوجودية بدلاً من التخصص فى الدراسات الدينية، فإن تلك الفترة من حياتها قد فتحت لها أبواب التأمُّل والنقاش والتساؤل عن ماهية الكون أو الوجود .

وكان والدها محامياً ينتسب إلى أسرةٍ من النبلاء، ولكنه ما لبث أن خسر بعض أملاكه إبان الحرب العالمية الأولى .

دراسة الفلسفة :

درست الفلسفة فى جامعة «أكول نورمال سوبرايز» والتى كانت جامعة تضم الذكور فقط فى حينها . وفى عام 1929م تخرَّجت وحصلت على دبلوم الفلسفة وعُمْرها 21 عاماً . وعند تخرجها انخرطت «سيمون» فى صحبة وجودية كان محورها وعصب الحياة فيها «جان بول سارتر» .

وفى الفترة الممتدة من عام 1931م وحتى عام 1943م درَّست «سيمون» الفلسفة فى ثانويات مختلفة فى أرجاء فرنسا، ثم عملت كبروفيسور (أستاذة جامعية) فى السوربون.

سيمون دى بوڤوار» و «جان بول سارتر» وعلاقة مثيرة للجدل:

تعرَّفت «سيمون دى بوڤوار» على «جان بول سارتر» - الذى كان وقتها طالبًا فى قسم الفلسفة - ونشأت قصة حب استمرت حتى وفاة سارتر فى 15 أبريل 1980م، لكن بدون أن يلتزما بالزواج .

بدأت العلاقة فى عام 1929 م بينهما، كان «سارتر» أكبر من «سيمون» بثلاثة أعوام،، وكان قد عُرف عنه كتاباته وأفكاره فى استنباط فلسفة غريبة قائمة على الكون أو الوجود . كما عُرف عنه تصرفاته غير الطبيعية فى حفلات الطلبة !

فى صبيحة يـوم مـا فى حديقة اللوكسمبرج وجدت «سيمون» نفسها تقع فى حب «سارتر»، وتحت سحره الذى رأته سحراً بليغاً، كما وجدته إنساناً يمتاز باللباقة الهزلية.

بعد عدة أشهر تقدم إلى خطبتها، ذكّرته «سيمون» أنّه وصف الزواج بـ «مؤسسة برجوازية حقيرة»، وقدّمت له عرضاً رومانسياً : أنّهما سيوقعان عقدا لمدة عامين قابل للتجديد، حول علاقتهما، ثم أخذت بين يديها رأسه (لاحظت أن رائحته كانت مزيجاً من التبغ والمعجنات !!) ثم قبلته .

وهكذا بدأت واحدة من أكثر العلاقات إثارة للحيرة فى تاريخ الأدب، رسائل حب «سارتر» كانت عبارة عن فلسفة أكاديمية عجيبة، حب ورومانسية وخيال علمى.

سيمون دي بوفوار تودع سارتر إلى مثواه الأخير

تم تعيين كل واحد منهما بعد التخرج، فى وظيفة تدريسية فى موقعين مختلفين، ثم جُند «سارتر» إلزامياً وأمضى تسعة أشهر كسجين حرب، وفى خلال تلك الفترة لم تكن علاقتهما جيدة، ووجهات نظرهما بشأن الزواج والعلاقات بشكل عام كانت مختلفة تماماً، ومع ذلك فقد تواصلت علاقتهما .

وخـلال أربعينيات وخمسينيات القرن المنصرم، فى الوقت الذى كانت فيه فرنسا تفور فى صراعاتها الفلسفية، وثوراتها

الثقافية، كانت «سيمون» ورفيقها «سارتر» يقصدان يومياً «سان جيرمان» حيث مقهى «دوفلور»، فيجلسان قريباً من مدفأة قديمة يتناقشان ويتجادلان ويكتبان . وكانت الصحف تلاحقهما بمقالات وردود ومديح وهجوم وعداء كونهما الممثلين للفلسفة الوجودية .

لم تكن علاقة «سيمون دى بوفوار» برفيقها «جان بول سارتر» علاقة حب وحسب بل علاقة تبادل فيها الاثنان التأثير الفكرى والدعم الثقافى والدور الريادى بين أبناء جيلهما .

كان من إنجازات «سيمون» المهمة مشاركتها فى تأسيس مجلة «الأزمنة الحديثة» التى أسستها مع رفيق حياتها «سارتر» ونخبة من المثقفين الفرنسيين لتتحوَّل فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى منارة للفكر المتحرر ومنبر للمناقشات الفلسفية العميقة .

وقع «سارتر» فى حبِّ الكاتبة الشابة «أولجا كوسا كيفيتر» فى سنوات الأربعينيات، ثم فى حبِّ الفتاة الجزائرية اليهودية «آرليت الكايم» فى أواخر سنوات حياته، ومع هذا صمدت العلاقة .

وتعلَّقت «سيمون» بدورها عاطفياً بالروائى الأمريكى «نيلسون آلجرين»، لكن كان الاثنان يعودان بعد كل مغامرة ليجمعهما فى النهاية قبر واحد دُفنت فيه «سيمون» مع «سارتر» عند وفاتها عام 1986م .

لقد كتبت «سيمون» : «الحقيقة أننى كنت منفصلة عن سارتر بالقدر الذى كنت ألتحم فيه مع هذه الشخصية .. كانت علاقتنا جدلية أيضاً، أحياناً كنت أشعر بأننى على مسافة لا معقولة منه، وفى أحيانٍ أخرى كنت أشعر كأننى النصف الذى يكمل النصف الآخر .. أخذت منه وأخذ منى، وبالتأكيد لم أكن تابعة له» .

وعند وفاة «سارتر» قالت «سيمون» : «إن وفاته قد فرّقتنا، وموتى لن يوحدنا، هذه هى الأمور، كان كافياً انسجام حياتينا طوال هذه المدة» .

هذا وقد وجد الكثيرون أن تجربة «سيمون دى بوفوار» لم تكن مهمة إلاَّ لكونها ارتبطت بفيلسوف مهم هو «سارتر»، وفى هذا غبن كبير لأهميتها، فالاثنان لم يشكلا

معاً علاقة اعتيادية، بل كان ثمة قضايا عالجاها معاً، من خلال نقاشاتهما، والتى صدما بها العالم كقضايا الارتباط والإخلاص والخيانة . وقد وصف «سارتر» رفيقته «سيمون بأنَّها : «تجمع بين ذكاء الرجل وحساسية المرأة» .

«سيمون دى بوفوار» تعيش قصة حبَ متأججة المشاعر لم يكن بطلها «سارتر»!!

نيلسون ألجرين

بطل هذه القصة هو الكاتب الأمريكى «نيلسون ألجرين» (1909 - 1981م)، حيث تقابلت «سيمون دى بوفوار» معه للمرَّة الأولى فى عام 1947م . وبالرغم من اختلافهما الثقافى والفلسفى إلاَّ أن عاطفة جيَّاشة ومشاعرمتأججة اشتعلت بينهما واستمرت لأكثر من سبعة عشر عاماً !!

وتلك الرسالة التى ننشرها على صفحات هذا الكتاب كتبتها «سيمون» إلى المحبوب الغالى «نيلسون ألجرين» أو كما تُطلق عليه «رجل شيكاغو»، هى جزء من أرشيف جمعته جامعة أوهايو الأمريكية.

كتبت «سيمون دى بوفوار» تلك الرسالة يوم غادرت أمريكا متجهة إلى باريس بعد لقائهما الأول فى أمريكا، وهذا نصّ الرسالة :

«محبوبى الغالى رجل شيكاغو ..

ما زلت حيَّا فى ذاكرتى وأنا هنا بباريس، وفى باريس أفتقدك وأحن إليك، الرحلة كلّها كانت رائعة، منذ اتجهنا شرقاً لم نحظ بليلةٍ كاملة، فبينما كانت الشمس فى «نيو فاوند لاند» على وشك الغروب، أشرقت بعد خمس ساعات فى «شانون» على مشهد طبيعى أيرلندى خلاَّب، كان كل شىء يبدو جميلاً، بينما يشغل تفكيرى الكثير، حتى أننى نمت بصعوبة، وفى العاشرة صباحاً (السادسة عندك) كنت فى قلب باريس، تمنيت أن يخلصنى جمال باريس من تعاستى، لكن لم يحدث، مبدئياً باريس، لم تكن باريس الجميلة، كانت رمادية غائمة، إنَّه يوم

الأحد، والشوارع خالية، كل شيء يبدو باهتاً، عابساً، ميتاً، ربما قلبى هو الذى مات فى باريس، فلا يزال هناك بنيويورك، قابعاً فى ركن من «برودواى» حيث افترقنا، لقد أصبحت «شيكاغو» ملاذى ومكمنى الدافئ، قرب قلبك الحانى، أعتقد الوضع سيختلف قليلاً فى غضون يومين أو ثلاثة، فلابد من عودتى للحياة الثقافية والسياسية الفرنسية، إلى عملى وأصدقائى، لكنى اليوم لا أرغب حتى مجرَّد الاكتراث، أشعر بحالةٍ من الكسل أو التعب، أصبحت غير قادرة سوى على التمتُّع بالذكريات، محبوبى، كل ما أبحث عنه هو اليقين، وليس مُجرَّد البوح بكلمات بسيطة جوفاء، لكن يبدو أن الحبّ اشتعل منذ اللَّحظة الأولى، على أى حال، لقد أصبح موجوداً، قلبى الملتاع يتألم شوقاً، أشعر بالرِّضا لافتقادى السعادة، لعلمى افتقادك لها، أيضاً، من الجميل أن يُصيبنى شيء من حزنك، نسعد معاً بالحبِّ، ونشقى الآن أيضاً بالحبِّ، فلابد أن نتعرَّف على كل حالات الحبّ، حتى نشعر بمتعة اللقاء، الرَّغبة، الشوق، ثم نيل المراد، تنتظرنى وأنتظرك، وأحبك أكثر ممَّا أبوح لك به، ربما أكثر ممَّا تعتقد، سأكتب لك كثيراً، وعليك أن تكتب لى أكثر، فأنا زوجتك إلى الأبد» .

المخلصة سيمون، الأحد : 18 مايو 1947م .

عالم سيمون دى بوفوار الإبداعى :

كتاب : الجنس الثانى :

الذى ناقش أوضاع المرأة التاريخية والاجتماعية والنفسية فى العصر الحديث، وقد أثار جدلاً كبيراً لدى صدوره، والذى تحوَّل بعد ذلك إلى دستور الحركة النسوية فى العالم .

أثَّرت «سيمون دى بوفوار» بشكلٍ كبير فى تشكيل وعى ثقافى جديد بقضية المرأة، يتجلى هذا فى مؤلفها «الجنس الثانى» الذى صدر فى عام 1949م، والذى يعتبر أهم إصداراتها ؛ والذى تحوَّل بمرور الوقت إلى دستور للحركة النسوية عبر العالم .

إنَّه عمل يتعلَّق بمعاملة النساء على مر التاريخ، ويجادل بأن المرأة قد عُرفت عبر

التاريخ على أنَّها الجنس «الثانى» أو «الآخر» . كما تجادل بأن المرأة لا تولد بصفتها «الثانى» أو «الآخر» لكنها تُدفع إلى هذا الموقع بفعل التربية والمحرمات الاجتماعية والممارسات الثقافية لمجتمع تسيطر عليه الثقافة الذكورية . وتكشف «سيمون» فى هذا الكتاب تعقيدات الوضع النسوى والصراع بين الذات الأنثوية التى تسعى إلى احتلال مكانها الطبيعى فى الحياة والذات الاجتماعية التى اصطنعت للمرأة مكان «الثانى» وفرضت عليها وجوداً هامشياً سعت الثقافات الذكورية المتراكمة إلى أن تجعله «مختلفاً».

«سيمون دى بوفوار» فى الجزء الأول المعنون «المصير» تحتاج إلى أن تؤسس سلبياً أن النساء ليس لديهن مصير مُحدَّد سلفاً، وفى القسم الثانى الذى يحمل عنوان «التاريخ» توضح كيف تطوَّر موقف النساء إلى الحالة الراهنة عبر القرون قبل المضى إلى القسم الثالث «الأسطورة» لتبحث ما الذى يكمن خلف التاريخ بالنظر على تخيُّلات الرجال وتصوراتهم عن النساء، وبعض النتائج المترتبة على الفروق بين هذه التخيُّلات والواقع.

وعن رأيها الشخصى فى الكتاب تقول «سيمون دى بوفوار» : «كان من ألوان سوء التفاهم التى خلقها الكتاب الاعتقاد بأننى كنت أنكر فيه أى فرق بين الرجال والنساء، والحقيقة أننى بالعكس قست وأنا أكتب الكتاب ما يفصل الجنسين، ولكن ما ذهبت إليه هو أن تلك الاختلافات هى ثقافية وليست طبيعية، وأخذت على عاتقى أن أروى كيف كانت تنشأ هذه الاختلافات» .

لقد أثار هذا الكتاب الجدل ما بين مؤيد ومعارض ومشكك، وعن العدوانية التى لاقتها جرّاء كتابة «الجنس الثانى» تقول ا لكاتبة : «هوجمت خصوصاً بصدد فصل الأمومة، وصرَّح رجال كثيرون بأنَّه لم يكن يحق لى التحدُّث عن النساء لكونى لم أُنجب أولاداً، تُرى، هل أنجبوا هم ؟ إنَّهم يعارضوننى بأفكار ليست حاسمة ولا قطعية، أترانى قد رفضت كل قيمة لشعور الأمومة والحب ؟ كلا، لقد طلبت من المرأة أن تُعايش هاتين القيمتين وبشكل حر، فى حين أنَّها غالباً ما يخدمانها كحجة، وأنَّها تخضع لهما إلى درجة أن الخضوع يبقى إذ يكون القلب قد جف» .

رواية : المثقفون :

الرواية التى تغلغلت فى الوسط الثقافى الفرنسى، والتى احتوت صوراً تنكرية ترمز إلى شخصيات حقيقية مثل «سارتر» و «كامى» وغيرهما .

فى هذه الرواية تُظهر الكاتبة نفسها فى دور الزوجة التى تعمل محللة نفسانية . والرواية التى تزخر بالحوارات الفلسفية ليست سيرة ذاتية لكن شخوصها حقيقيون ؛ فلقد رأى فيها النُّقَّاد أنَّها تعج بالصور التنكرية التى ترمز إلى شخصيات حقيقية ومهمة مثل «جان بول سارتر» و «ألبير كامى» وغيرهما . كما روت فيها أيضاً ذكرياتها عن العلاقة العاطفية التى ربطتها بالروائى الأمريكى «نيلسون ألجرين»، وهو الذى أهدت الكتاب إليه .

وتأتى أهمية الرواية من الناحية الأدبية من قدرتها على التغلغل فى أعماق الوسط الثقافى الفرنسى، أو ما كان عُرف بـ «الضفة الغربية»، وقد تمكنت «سيمون» بفضل معايشتها لذلك الوسط وحساسيتها المفرطة فى التقاط سماته ومميزاته أن تجعل من هذه الرواية صرحاً يُخلد الحياة الثقافية فى حقبة ما بعد الحرب فى فرنسا .

كتب السير الذاتية : مذكرات ابنة مطيعة، وقوة العُمْر، وقوة الأشياء، وكل شىء قيل وحدث .

فى تلك الكتب الأربعة أرَّخت «سيمون دى بوفوار» للحياة الفكرية فى فرنسا، وقال عنها النُّقَّاد أنَّها تميَّزت بالشجاعة والصدق، وتحمل أبعاد الأمانة المفترضة فى السير الذاتية .

فى كتابها «مذكرات ابنة مطيعة» التى صدر فى عام 1958 م تُقدِّم «سيمون» وصفاً نابضاً للحياة لمسيرة تفتُّحها ونشوئها كأنثى ضمن حماية أُسرة برجوازية محترمة فى بدايات القرن العشرين، كما تصف أيضاً التحوُّلات النفسية والثقافية، والتى طرأت على ابنة العائلة الكاثوليكية المحافظة وهى تتعرَّض لتأثيرات العصر الجديد .

وفى كتابها الثانى من السير الذاتية «قوة العُمْر» والذى صدر فى عام 1960 م تُغطى «سيمون» الفترة الأولى من علاقتها مع «سارتر»، كما تُقدِّم معايشة حية لسنوات الحرب العالمية الثانية .

وفى كتاب «سيمون دى بوفوار» الثالث «قوة الأشياء» الصادر فى عام 1963م تتحدَّث الكاتبة عن وضعية المرأة إذ تقول : «رغبة منى فى الحديث عن نفسى، أرى أنَّه ينبغى لى وصف الوضعية النسائية»، وقد انطلقت «سيمون» عند تشخيصها لوضعية النساء من تساؤل مشروع هو : مَنْ هى المرأة ؟ لتحدِّد هويتها التى وجدتها هوية مُستلبة. وقد ألقت نظرة مقارنة على عالم النساء الأمريكيات لتستشعر وإيَّاهن نفس موقف التحدى الذى ينتابهن خاصة ما يثبت شعور الأنثى بنفسها الذى يطغى على حضورها الجسدى والنفسى .

وفيه وردت أيضاً قائمة بكل ما لا تستطيع عمله، وما لا يمكن عمله على الإطلاق، لكن فى عقلها الباطن نجزم بأنَّها كانت تود أن تبدأ الكتابة بجملة :(لا يوجد رجل على الإطلاق أفضل منى)، على كل حال لقد كتبت «سيمون» ما هو أجمل وأكثر رونقاً مثل: «إن الطرقات الجبلية تأبى أن تلين تحت أقدامى» .

وفى كتابها الرابع من السير الذاتية المعنون : «كل شىء قيل وحدث» والصادر فى عام 1972م، تناقش الكاتبة الاختيارات الوجودية التى تطرحها الحياة على المرء، وتستعرض علاقاتها المركبة مع «سارتر» وبقية أسرة مجلة «الأزمنة الحديثة» وكبار المثقفين الوجوديين واليساريين فى فرنسا .

رواية : صوت مُريح جدًّا :

رواية تصور حجم حزن الابنة وأمّها طريحة الفراش فى لحظاتها الأخيرة، فماذا دار بين الأم وابنتها من حوارٍ قبل الوفاة ؟

عاشت الأم وابنتها «سيمون» على طرفى نقيض . وكانت الأم وهى طريحة الفراش موضع عناية «سيمون» وأختها الصغرى «بوبيت» . وفى لحظة التجربة هذه تتكشف مشاعر «سيمون» فتعيد بناء تصورها عن هذه العلاقة الحميمة بين أم تحب ابنتها، وابنة مغرمة بأمها .

باقة من الزهور قدَّمتها «سيمون» لأمِّها، جسمَّت علامة استفهام وتساؤل، ظلت اليد قابضة بعنفٍ على الزهور، ونادت «سيمون» : «أمى، هاأنذا . تعرَّفى علىَّ .. هأنذا.

لكن انتهى كل شيء، لا مُجيب! هذه الزهور لم تكن مُجرَّد لغة رقيقة، بل كانت تعبيراً عن أن المرأة المشهورة، التى هزتها فجيعتها فى أمَّها قد تأخرت . وهى بزهورها التى تحملها ناظرة إلى أمِّها، وقد ودعت الحياة، كل هذا يظهر فى هذه الرواية، التى عادت على «سيمون» بشهرة أكثر عظمة من تلك التى حققتها على طول تاريخها .. إنَّها لمحة مؤلمة تومض، إذ لم تنجح الباقة من الزهور فى تجديد ابتسامة أمّ لابنتها بعد أن أصبح تهديد الموت حقيقة .

تُرى ماذا دار بين الأمّ وابنتها قبل أن يُفرق بينهما الموت ؟ هل تجدَّد الحوار الذى انقطع ؟ تقول «سيمون» : «ما كنت أتخيَّل بصورة جدية أنَّها ستموت فى يوم ما ؟»، وتقول أيضاً : «وجه الأم نألفه منذ طفولتنا، لا يعنينا ولا يثيرنا ما يحدث على قسماته من تغيير، إذ يتم فى تؤدة، ورفق، دون أن يلاحظه الأبناء، وتزحف التجاعيد على قسمات الوجه، وينتشر المشيب فى مفرق الشعر، والتعب الذى ينتاب الأم عبر سنوات طويلة من نضالها اليومى يخط آثاره . ولا نبدى اهتماماً بهذا الناموس الطبيعى الأزلى : إن كل فرد ينمو إلى فناء !!» .

وتستطرد تقول : «ينفصل الطفل عن أمه ويجرب العلاقات الخارجية، يستشعر الألم.. يناضل .. يبنى .. يهدم .. لكن هذا الابن لا يتصوَّر أن صوت الأم سيغيب عنه يوماً، يخمد، ويخيم سكون أبدى، فأمه ذهبت ولن ترجع، إذ أن الرجل ما دام صلب العود، ثابت الخطوات، وقدرته حادة على التفكير السليم، يستشعر السعادة، لا يُفكر إطلاقاً فى أنَّه فى أمسيةٍ ما سيتوارى وجه الأم . لكن أخيراً يأتى الحدث الذى يبدو دوماً كالكابوس، وفى يوم وليلة تظهر دلائل، وينغرس مخلب فى مكانٍ ما من أمه . إذاً لقد اقترب الوحش، رقص رقصته التى تنقطع لها الأوصال، فارتج القلب، وتداعت دقاته .. الأم إذاً تموت، إنَّها تفارقك، كيف يحدث هذا ؟ وأنت لم تعترف بها بعد - بصراحة - بما تكنه لها . منذ متى لم تتجاذبا أطراف الحديث ؟ آه .. منذ متى ؟ ويمر بمخيلتك الشريط الذى قد لا تطيقه .. تحدياتك من أجل الممنوعات والمحظورات، وأحداث توارت فى طى النسيان ترجع صارخة، أشياء لم تعد فى الحسبان، وبالذات نوبات الغضب والعتاب من الأم على الجحود مشفوعة من الابن بالاعتذارات وتأنيب

الضمير . تلك حقيقة مؤلمة . إنَّه عذاب يأخذ بالتلابيب، يقطع نياط القلب، أمثل هذا يمكن أن ندعوه حواراً دار بين أم وابنتها».

هذا الذى قالته «سيمون» يُعتبر أروع ما كُتب عن أم تحتضر : الرواية تقع فى مائة صفحة، وليس بالرواية سوى ثلاثة أشخاص هى : الأم، وابنتاها «سيمون» و «بوبيت».

كتاب : المرأة العجوز :

أول كتاب يتناول مُعاناة الإنسان مع العجز والشيخوخة، تقول فيه : كبر السن وليس الموت هو الذى يجب أن يُقارن بالحياة .

اكتشفت «سيمون دى بوفوار فى الستينيات فقرو مذلة كبر السن بالنسبة لها وبالنسبة للآخرين، فأصدرت هذا الكتاب فى عام 1970م، وقد أعطت فيه للشيخوخة ما سبق لها أن أعطته للنساء فى كتاب «الجنس الثانى»، فقد تناولت أولاً موقف الحضارات المختلفة من التقدُّم فى السن، وكيف يستحيل للإنسان بفعل الشيخوخة إلى كم مهمل لا دور له سوى انتظار الموت . وهو أول كتاب جاد يكسر حاجز الصمت المفروض على هذا الجانب مع المعاناة الإنسانية .

كتاب : (وداعاً سارتر) :

الكتاب الذى يتضمَّن تفاصيل كثيرة وعيوب شخصية «لسارتر»، كما يتضمَّن قصص الرجال الذين أحبتهم الكاتبة فى ظل علاقتها به، ممَّا اعتبره البعض خيانة، واعتبرته «سيمون» : أنَّه أفضل ما يقدَّم لرجل لا يزال حيًّا !!

حينما اشتد المرض بالفيلسوف «چان بول سارتر» فى سنواته الأخيرة، ما كان من «سيمون دى فوار» رفيقة عُمْره أن اعتنت به حتى توفى فى عام 1980م . وبعد وفاته أصدرت فى عام 1981م كتابها «وداعًا سارتر» ، وهون ملخص لحياته فى أخريات أيامه، وفيه كشفت تفاصيل كثيرة وعيوب شخصية «لسارتر»، ممَّا أثار عليها ضجة كبيرة من أولئك الذين كانوا ينتظرون منها أن تضع باقة من الزهور على ضريحه فى ذكراه.

كما كتبت فى هذا الكتاب عن الرجال الذين أحبتهم فى ظل علاقتها «بسارتر»،

نشرت الرسائل المتبادلة بينها وبينهم، وهذا ما أعده البعض بمثابة تصفية حساب معه، خاصة أنَّه لم يتحرك لها الوصاية - كما هو متوقع - على أعماله الأدبية والفلسفية بما فيها خطاباته «لسيمون»؛ بل عهد بها إلى فتاة يهودية من أصل جزائرى تُدعى «آرليت» كان قد ارتبط بها بعلاقةٍ استمرت سنوات، لكن «سيمون» أصرت على نشر رسائلهما معًا، وأقامت فى شقةٍ تطل على المقبرة التى دُفن بها، كما أوصت أن تُدفن فيها هى أيضًا بعد وفاتها، وقد تحقق لها هذا بالفعل.

رفضت «سيمون دى بوفوار» جميع الانتقادات التى وُجهت إليها، وأبت أن تُخْيى ذلك التقليد الهندى القديم بأن تموت إلى جواره - على حد تعبيرها - وتبرر ذلك بقولها: «كشفت عن سارتر الجانب الذى كان الناس يريدون أن يعرفوه، فلسفته ليست تعبيرًا إمبراطوريًا عن أفكار تجول فى وجدان الشخص، إنَّها الدخول إلى أعماق الناس».

وتسطرد قائلة : «لقد قلت أكثر من مرَّة أن هذا الكتاب هو من أجل «سارتر» وليس عنه. لقد حاولت أن أُضيء بعض المشاهد غير المعروفة فى حياته لكن أُظهر أن الاحتياج هو انعكاس جزئى لزلزال يتشكَّل داخل عقل الفيلسوف».

وأخيرًا تقول فى معرض دفاعها المُستميت : «لقد كان رجلاً حقيقيًا ، يعرف كيف ينتمى إلى الحقيقة، وكيف يبحث عنها، وعندما وضعت كتابى كنت واثقة أن هذا أفضل ما يمكن أن يُقدَّم لرجلٍ لا يزال حيًّا»!!

قراءة سريعة فى أسلوب وأفكار «سيمون دى بوفوار» .. الأدبى والفلسفى :

عاشت «سيمون دى بوفوار» هاجساً استحكم نشاطها الفكرى وهو هاجس الحرية والمساواة : «ما السبب الذى جعل هذا العالم دائماً ملكاً للرجال ؟ هكذا تتساءل دائماً .

كانت فى كتاباتها تؤكِّد على الهوية وحرية المرأة على وجه الخصوص، ومن خلال ذلك حرية الكائن الإنسانى عموماً، لذا فلا غرابة أنْ ترفض الخضوع لمصيرها المرسوم- سالفاً -كأم وزوجة!!

إن إرث «سيمون» الحقيقى الذى عاش بعدها ليشهد لها اليوم بأنَّها كانت مبدعة

وليست مُجرَّد تابعة لأفكار رفيقها «سارتر»، وقد كان إنجازها الأكبر أنَّها كانت مفكرة وفيلسوفة «أنثى» فى عالم المفكرين والفلاسفة الرجال .

عموماً لا يجدر بنا أن نمرّ على قضية طرقتها «سيمون دى بوفوار» مروراً عابراً أو سطحياً، فما من شىء فى كتابتها سطحى أو عشوائى ؛ لأنَّها كانت دوماً تقول : «أرغب فى أن أعى حقيقة الأمور أكثر من التماس شهرة عن طريق إبهار القارىء برونق حديث وبهاء كلام» .

لم تتوقف «سيمون دى بوفوار» طوال حياتها أو خلال مسيرتها الأدبية والفكرية عن الابتكار والإبداع، منذ كانت تُقيم فى جبال مقاطعة مرسيليا، منتحلة صندلاً، وباحثة دوماً عمَّا يُثير إعجابها أو يجذبها إلى المعرفة .

كانت تكتب مشاعرها وتصبها على الورق وراء مسحة من برود وجمود وترفض بشدة أن تخرج منها صيحة دهشة أمام شىء جميل حتى وإن كان مفرشاً مصنوعاً من الدانتيل أو صفحة مياه نهر النيل عندما تنسحب شمس القاهرة، فبالنسبة لها الدهشة فى مغزاها غباء!!

«سيمون دى بوفوار» والسياسة :

ساهمت «سيمون دى بوفوار» فى الستينيات من القرن المنصرم بنشاط بارز فى جميع القضايا الاجتماعية والسياسية التى تدعم أفكارها ودعمتها بأفكارها، فأدانت بعنف الاستعمار الفرنسى فى الجزائر، ودافعت عن حق الجزائريين فى المقاومة والاستقلال، كما أدانت العدوان الأمريكى فى فيتنام .

وعندما بدأت حركة المرأة فى فرنسا رسمياً عام 1970م انضمت إليها، وتحمست لها .

أمَّا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فلم يتغيَّر موقفها بمرور الزمن فتقول : «إن أمريكا لن تتورع عن سحق أى حركة شعبية أو وطنية فى اللحظة التى تشعر فيها بأنَّها تُهدد مصالحها ..» .

وعندما توقَّع البعض انهيار أمريكا كتبت تقول : «ولكن هذا الانهيار قد يُسبِّب ثورة عالمية .. ولست أدرى هل سيمتد بى العُمْر حتى أرى ذلك اليوم أم لا ؟!».

وفى السبعينيات من القرن المنصرم تذبذبت المواقف العامة «لسارتر» و «سيمون»، فقد رفضا الدفاع عن القضية الفلسطينية . أمَّا «سارتر» فمنذ عام 1946م وهو عضو عامل فى منظمة الجامعة الفرنسية من أجل فلسطين الحرَّة، وكان أول من باركوا مبادرة الرئيس «أنور السادات» فى السفر إلى إسرائيل للمناداة بالسلام، فكتب «سارتر» يبررها فى جريدة الليموند الفرنسية، وسافر بنفسه إلى إسرائيل ليحث عليها ويدفعها .

أمَّا «سيمون» فلن ينسى لها العرب أنَّها أصدرت نداء لمناصرة إسرائيل أثناء حرب أكتوبر المجيدة فى عام 1973م والتى انتهت بالانتصار المصرى على الدولة المغتصبة، واستصرخت ضمير العالم أن يقف مع شعب الله المُختار ويمنع إبادته على يد العرب!!

الوفاة :

فى يوم 14 من أبريل عام 1986م، قبل يوم واحد من الذكرى السادسة لوفاة «سارتر» توفيت «سيمون دى بوفوار» عن عُمْر يناهز 78 عاماً، فى إحدى مستشفيات باريس، إثر صراع مع أمراض الدورة الدموية. ودفنت فى باريس إلى جوار رفيقها الفيلسوف الوجودى «جان بول سارتر» ليجمعهما قبر واحد حسب وصيتها.